ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سما ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله ان يخلق الخلق
قسم ذلك النور اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش
ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث
باقي الملايكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اشيا اجزا فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين
ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول نور ابصار المومنين ومن
الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله
محمد رسول الله الحديث ومن اشكل هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدي فقال الحافظ
ابو يعلى الهمداني الاصح ان العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وكان عرشه على الما فهذا صريح ان التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير
وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة ابن الصامت مرفوعا اول ما خلق الله القلم قال له اكتب
قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شي رواه احمد والترمذي وصححه وروينا ايضا من
حديث ابي رزين العقيلي مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش وروي السدي باسانيد متعددة
ان الله لم يخلق شيا مما خلق قبل الما فيجمع بينه وبين ما قبله بان اولية القلم بالنسبة الى ما
عدا النور المحمدي والما والعرش انتهى وقيل الاولية في كل بالاضافة الى جنسه اي اول
ما خلق الله من الانوار نوري وكذا في باقيها وفي احكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق
عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي
ربي قبل خلق ادم فجعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على ساير نوره
ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على اكتاف ملايكته وامرهم فطافوا به في السموات
ليرى عجايب ملكوته قال جعفر بن محمد مكثت الروح في راس ادم مايه عام وفي صدره
مايه عام وفي ساقيه وقدميه مايه عام ثم علمه الله تعالى اسما جميع المخلوقات ثم امر الملايكة
بالسجود له فسجدوا الا ابليس فطرده الله تعالى وابعده واخزاه وكان السجود سجود
تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له بالحقيقة هو الله
تعالى وادم كالقبلة ويروى عن جعفر الصادق انه قال كان اول من سجد لادم جبريل
ثم ميكايل ثم اسرافيل ثم عزرايل ثم الملايكة المقربون وعن ابي الحسن النقاش اول من سجد
اسرافيل قال ولذا جوزي بتوليه اللوح المحفوظ وعن ابن عباس كان يوم الجمعة من
وقت الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى له حوا زوجته من ضلع من اضلاعه
اليسرى وهو نايم وسميت حوى لانها خلقت من حي فلما استيقظ وراها سكن اليها ومد
يده اليها فقالت الملايكة مه يا ادم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تودي مهرها
قال وما مهرها قالوا تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ذكره ابن الجوزي
في كتابه سلوة الاحزان انه لما رام القرب منها طلبت منه المهر فقال يا رب وماذا اعطيها

اي امتنعت من ذلك يا ادم

فقال

فقال يا ادم صلى على حبيبي محمد ابن عبد الله عشرين مرة ففعل ثم ان الله تعالى اباح لهما نعيم الجنة
ونهاهما عن شجرة الحنطة وقيل شجرة العنب وقيل شجرة التين فحسدهما ابليس فهو
اول من حسد وتكبر فاتى الى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة واتى الى ادم وحوا فوقف
وناح نياحة احزنتهما فهو اول من ناح فقالا ما يبكيك قال عليكما تموتان وتفقدان النعيم
الا ان تاكلا على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما انه ناصح فهو اول من حلف كاذبا واول من
غش فاكلت حوا منها ثم زينت لادم حتى اكل وظنا ان احدا لا يتجاسر ان يحلف بالله كاذبا
فقال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب
وعزتك ولكن ظننت ان احدا لا يحلف بك كاذبا قال الله وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض
لا تنال العيش الا كدا فاهبط من الجنة وعن ابن عباس قال الله تعالى يا ادم ما حملك على
ما صنعت قال زينته لي حوى قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ولادة
في الشهر مرتين وقال وهب ابن منبه لما اهبط ادم الى الارض مكث يبكي ثلاث مايه سنة لا يرقا
له دمع وقال المسعودي لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم اكثر حين اخرجه
الله من الجنة وقال مجاهد بكى ادم مايه عام لا يرفع راسه الى السما وانبت الله من دموعه
العود الرطب والزنجبيل والصندل وانواع الطيب وبكت حوى حتى انبت الله من دموعها
القرنفل والافاويه يا بني ادم انظر والكيف بكى ابوكم ادم على نعله واحدة ثلاث مايه سنة فكيف
بكم يا ارباب الكباير العظيمة فاعتبروا يا اولي الابصار كان كلما راى الملايكة تصعد وتهبط
ازداد شوقا الى الاوطان وتذكر العهد والجيران يا اصحاب الذنوب احذروا زلة يقول
فيها الحبيب هذا فراق بيني وبينك فيا ذا العقل السليم انظر كيف جلس ابوك ادم على
سرير المملكة فمد يده الى لقمة نهي عنها فاخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصي
فانها من نزلت به ازلته وحطته عن مرتبته فان قلت هذه النعلة التي اهبط بها
ادم من الجنة ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبيا وان كان صغيرة فلم جرى عليه
ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة وغير ذلك اجاب الزمخشري بانها ما كانت الا
صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الطاعات واعظم الاعمال
وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا
له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقا الماثم يا هذا انظروا لله من لطف وحكمة في اهباط ادم
من الجنة الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين
ولا صعدت زفرات انفاس التايبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين يا ادم ان كنت
اهبطت الى الارض من دار القرب فاني قريب اجيب دعوة الداعي ان كان حصل لك
بالاخراج من الجنة كسر فانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ان كان فاتك في السما زجل
المسبحين فعد تعوضت في الارض انين المذنبين انين المذنبين احب الينا من
تسبيحهم زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار وانين المذنبين يزينه الانكسار والوله

Copyright King Saud University